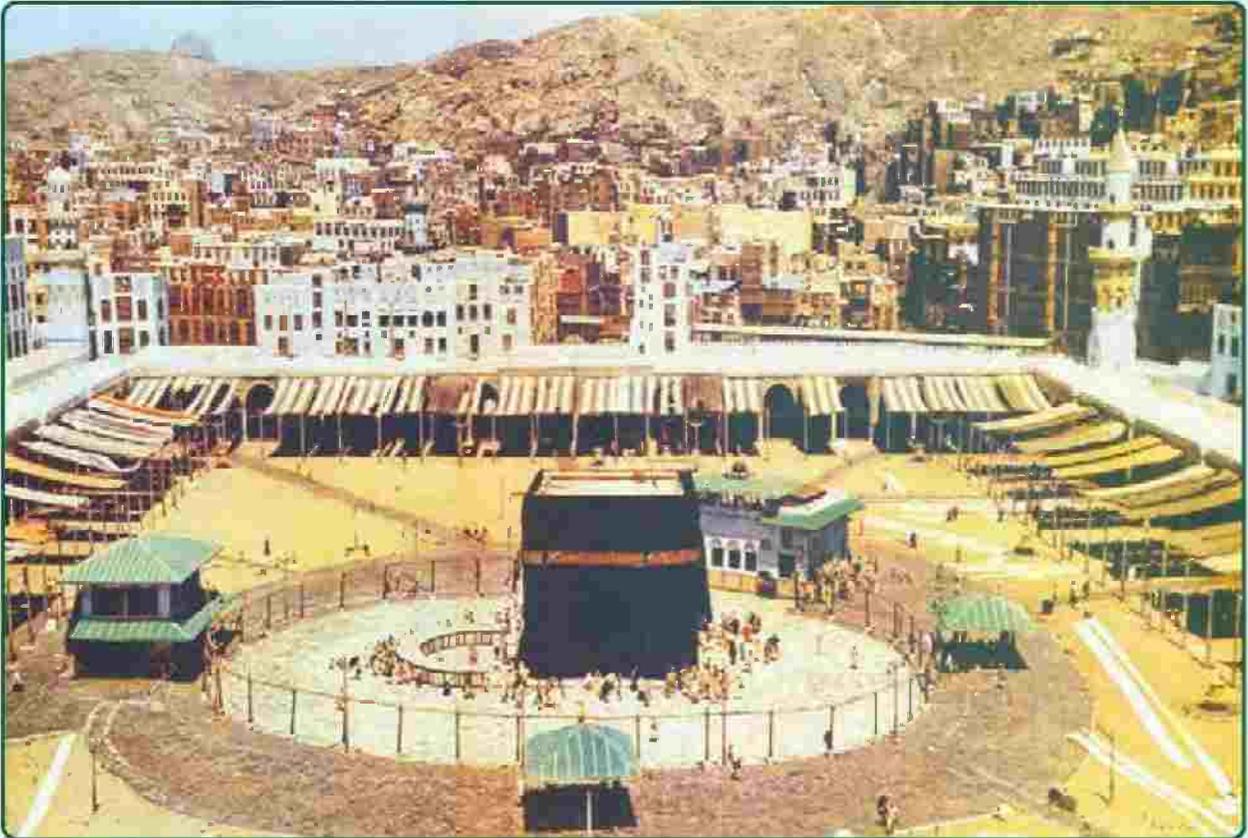


الباب الخامس

أشهر طرق ومسالك الحج في الماضي وبدايات العصر الحديث





دَرْبُ زَيْبِدَةَ

يعد طريق الحج من الكوفة، إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي، وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم (درب زبيدة): نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر، زوجة الخليفة هارون الرشيد، توفي رحمه الله سنة ١٩٣ هـ/٨٠٩م، والسيدة زبيدة كان لها أعمال كثيرة في إقامة بعض المنشآت على هذا الطريق، وفي مكة المكرمة، ومن أهم أعمالها، حفرها عين زبيدة التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم.

وطريق (الكوفة - مكة) لا يستجد أن يكون مروراً قبل العصر الإسلامي، حيث كانت البحيرة عاصمة البصرة بالقرب من الموقع الذي قامت فيه الكوفة فهما بعد سنة ١٤ هـ، وربما كانت القوافل التجارية من مكة، والمدينة تنجبه إلى البحيرة عبر هذا الطريق، وكانت توجد على الطريق مناهل للمياه قبل الإسلام توقفت في بعضها الجيوش الإسلامي بقيادة سعد ابن أبي وقاص قبل دخوله العراق، ومن هذه المناهل:

زرد، والنظبية، وشرف، والتذيب، والقادسية.

غير أن الطريق انتظم استخدامه بعد فتح العراق، وانتشار الإسلام في المشرق الإسلامي، فتحوّلت مناهل المياه، وأماكن الرعي، والتعدين على الطريق إلى معطيات رئيسة، وبدأ الطريق يزدهر بالتدريج منذ عصر الخلافة الراشدة، وحتى العصر الأموي؛ ويانتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق، في العصر العباسي، أصبح الطريق حلقة اتصال مهمة بين عاصمة الخلافة في بغداد والحرمين الشريفين، وبقية أنحاء الجزيرة العربية وحتى اليمن، وأعطى خلفاء بني العباس جل اهتمامهم بتأمين طرق المواصلات، وبالأخص طريق الكوفة من مكة، كما كان للأمرء، والوزراء، والقادة، والوجهاء، إصلاحات أخرى كثيرة على الطريق.

طُرُقُ الْحَجِّ الْقَدِيمَةِ



قال تعالى ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿ ٢٧ ﴾ يُشْهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مُمَدَّنَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ حَيْثُ الْأَنْعَامِ لَكُمْ فِيهَا وَأَطْمِئِنُوا بِالْإِسْلَامِ الْغَيْرِ ﴿ ٢٨ ﴾ كُمْ لِيَفْضُوا عَنْهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُورَهُمْ وَلِيَفْهَمُوا بِآيَاتِ الْتَوْبِ ﴿ ٢٩ ﴾ الحج الآيات ٢٧ - ٢٩.

لقد تضمنت هذه الآيات الكريمة: مشروعية الحج (وأذن في الناس بالحج)، والرحلة إليه (يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر)، كما تضمنت طرق الحج (يأتين من كل فج عميق)، وأخيراً تضمنت فوائده المرجوة منه (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات)، سورة الحج

ونظراً لما للحج من فوائد مادية، وروحية (اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وتاريخية)؛ ولما للرحلة إليه من دور في توثيق الصلة بين الشعوب الإسلامية، والعمل على الوحدة الثقافية، والفكرية، والتشريعية بين المسلمين، وذلك من خلال اللقاءات، والحوارات، والأخذ والعطاء، في الطريق إلى الحج، أو العودة منه، وفي رحاب الأراضي المقدسة، مكة والمدينة، وما يلحق بهما، وتأكيداً على الأداء التاريخي الذي أدته طرق الحج، حيث تُعد في التاريخ الإسلامي من أهم مصادر الثقافة الجغرافية؛ لأنها تدعو إلى دراسة الطرق والوسائل المادية إليه، والتعرف على خصائص البلاد، والشعوب التي يمر بها الحاج، منذ أن يقادر بلده، حتى يبلغ الحرمين الشريفين.

لذلك شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهور وتطور لسبعة طرق رئيسة للحج والتجارة، هي: طريق الحج الكوفي، وطريق الحج البصري، وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي، وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العماني.

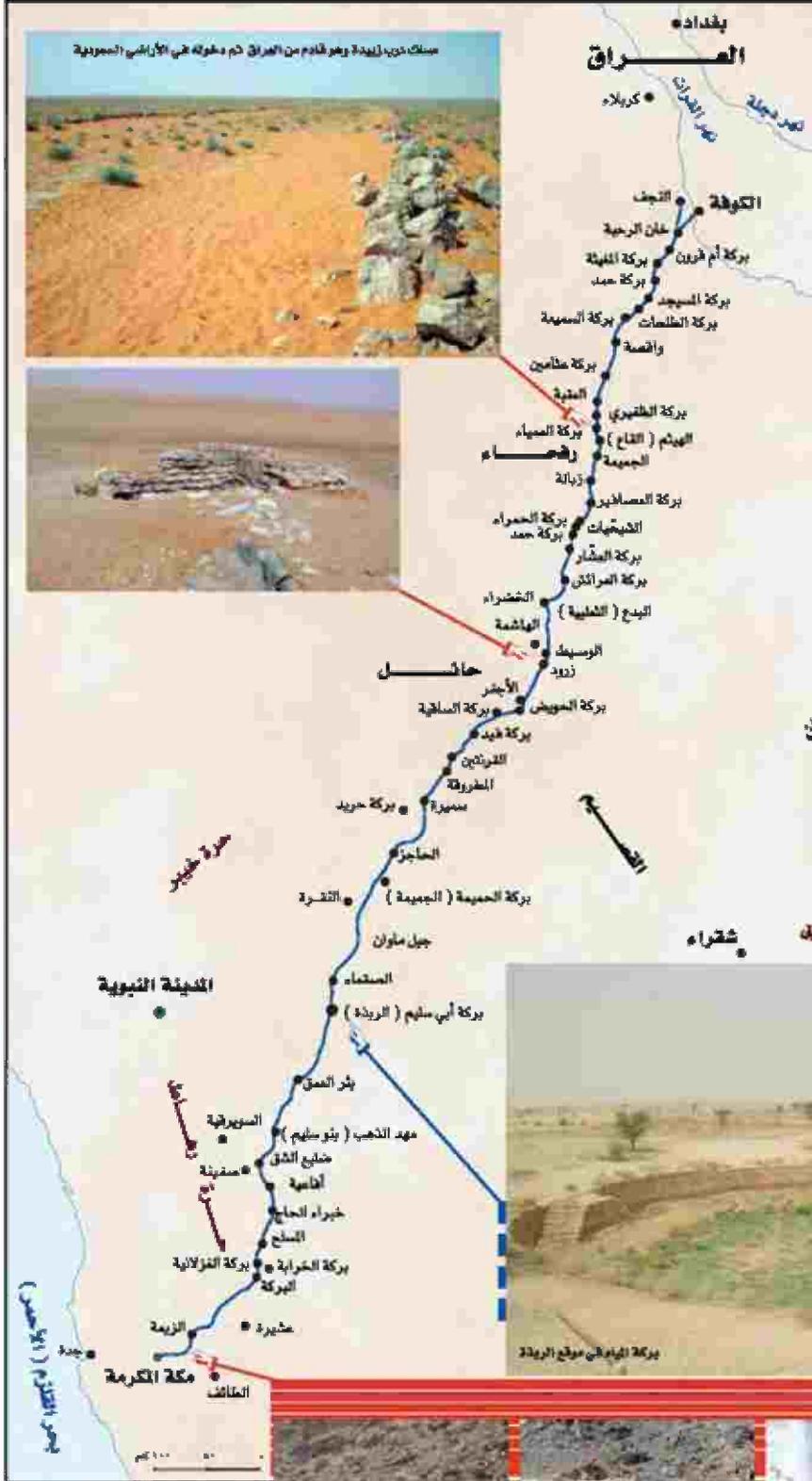
وتتصل هذه الطرق مع بعضها البعض في نقاط رئيسة، أو بواسطة طرق فرعية، ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين، والأمراء، والوزراء، والأعيان، ومن محبي الخير من التجار والوجهاء على مر العصور، وبعض الطرق استمر استخدامه حتى عهد قريب، والبعض الآخر اندثر بسبب الظروف المناخية، والاقتصادية، والهجرات السكانية.

وأقيمت على طرق الحج منشآت عديدة، مثل: المحطات، والمنازل والمرافق الأساسية من برك، وآبار، وعيون، وسدود، وخانات، ومساجد، وأسواق، كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام، والمنارات، والأميال، التي توضح مسار تلك الطرق وتضريحاتها.



دَرْبُ زَيْبِدةَ

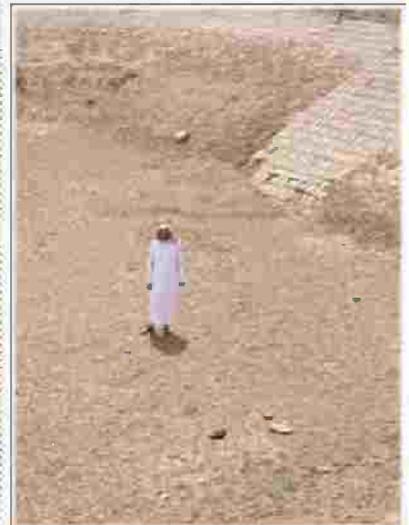
درب زيبدة، ويسمى إلى زبادة بنت جعفر بن أبي جعفر الخليلي الطائفة الجاهلية، بنيت في عام 114 هـ، وجعلت عام 117 هـ، وهي إحدى زبديات الخليفة العباسي هارون الرشيد - وهي له بنته - أبرز الخلفاء العباسيين 170-193 هـ، قامت زبيدة بالإشراف على إنشاء طريق الحج، ويشكل هذا الدرب في خمسة مجامع بيت الله الحرام من بغداد (مطبخة الخلافة العباسية)، ورواد بالكوفة إلى مكة المكرمة، حيث تم وضع علامات على الطريق لإرشاد الحجاج، وتم وضع بركة لجميع الماء بطريقة دائرية، حيث تم وضع كل بركة أسفل وادي صغير تجمع ماء المطر ويصطفها مياه الحجاج للزود بالماء، ومع مرور السنين استعاد حجاج بيت الله الحرام من هذا الطريق. ويبلغ طول هذا الدرب 1100 كم تقريباً، وينتهي هذا الدرب في حوزة زيبدة التي هي من وادي شنان، لم يمر في عهدهم قطعت وادي حوزة، ثم الحوزة إلى مكة، وكانت تسمى بطريقة السبئية القديمة مطلوا.



أندلس الحج والعمرة (تاريخاً وهدفاً)



تقطعات متنوعه لبركة زبيدة بفيد والتي تقع على بعد ١٢٠ كم جنوبي حائل





فَكَثُرَ فِيهِ «فَيْد» التَّنَائِيرِ الْخَاصَّةُ بِالطَّهْرِ خَارِجَ قِصْرِ خِرَاشٍ، وَلَا سِيَّمَا أَنَّهُ فِي مَنْتَصَفِ طَرِيقِ الْحَجِّ الْكُوفِيِّ إِلَى مَكَّةَ، وَكَمَا ذَكَرَ يَأْقُوتُ أَنَّهُمْ مَقُوتَةٌ الْحَاجِّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُنْقَطِعِ، وَلَا غُرُوبِي ذَلِكَ فَهَمَّ أَحْفَادُ حَاتِمِ الطَّائِسِيِّ لِذَلِكَ لَفَتَ انْتِبَاهِي أَشَاءَ جَوْلَتِي لِلتَّصَرُّفِ عَلَى مَوْضِعِ الْبِرَكِ الَّتِي أَنشَأَهَا السَّيِّدَةُ زَيْبَةُ، «زَوْجَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ» عَلَى طَرِيقِ الْحَجِّ كَثْرَةَ وَجُودِ هَذِهِ التَّنَائِيرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِالتَّحْدِيدِ، وَهَذَا تَأَكِيدُ عَلَى قَوْلِ الْحَازِمِيِّ بِأَنَّهُ فَيْدٌ، بِالنِّبَاءِ، أَكْرَمُ نَجْدٍ، قَرِيبٌ مِنْ أَجْدَا وَسَلْمَى جَبَلِيٍّ طَيِّئٍ.»

فَيْدٌ، بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ، وَدَائِلٌ مَهْمَلَةٌ؛ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْفَيْدُ الْمَوْتُ، وَالْفَيْدُ الشُّعْرَاتُ فَوْقَ جَحْفَلَةَ الْفَرَسِ، وَقِيلَ لِلْمَوْزُجِ: لَمْ أَكْتُمَيْتْ بِأَبِي فَيْدٍ؛ قَالَ: فَيْدٌ مَنْزِلٌ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، وَالْفَيْدُ: وَرَدُّ الزَّعْفَرَانِ، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَعَادَ الرَّجُلُ فَائِدَةَ، وَقُلَّ مَا يَتَوَلَّوْنَ فَادَّ فَائِدَةَ؛ قَالَهُ الزُّجَاجِيُّ. وَفَيْدٌ بَلَدَةٌ فِي نِصْفِ طَرِيقِ مَكَّةَ مِنَ الْكُوفَةِ صَامِرَةٌ إِلَى الْآنِ يُودَعُ الْحَاجُّ فِيهَا أَزْوَاجَهُمْ وَمَا يَثْقُلُ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ عِنْدَ أَهْلِهَا، فَإِذَا رَجَعُوا أَخَذُوا أَزْوَاجَهُمْ وَوَجَّهُوا لِمَنْ أَوْدَعُوهُمَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَهَمَّ مَفْوُتَةٌ لِلْحَاجِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الْمُنْقَطِعِ، وَمَعِيشَةٌ أَهْلِهَا مِنْ أَدْحَارِ الْمَكُوفَةِ طَوَّلَ النَّوَامَ إِلَى أَنْ يَقْدَمَ الْحَاجُّ طَيِّبِمْوَنَةَ عَلَيْهِمْ، قَالَ الزُّجَاجِيُّ: سَمِيَتْ فَيْدٌ بِفَيْدِ بْنِ حَامٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَهَا، وَقَالَ السُّكُونِيُّ: فَيْدٌ نِصْفُ طَرِيقِ الْحَاجِّ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَهِيَ أَثَلَاثٌ: تِلْكَ لِلْعَمْرِيِّينَ وَتِلْكَ لِأَبِي سَلَامَةَ مِنْ هَمْدَانَ، وَتِلْكَ لِبَنِي نُبَهَانَ مِنْ طَيِّئٍ، وَبَيْنَ فَيْدٍ وَوَادِي الْقُرَى سِتُّ لِيَالٍ عَلَى الْغُرَيْمَةِ، وَلَيْسَ مِنْ دُونِ فَيْدٍ طَرِيقٌ إِلَى الشَّامِ، بِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ رِمَالٌ لَا تَسْلُكُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى رُبَالَةِ أَوْ الْعَقْبَةِ عَلَى الْحَزْنِ فَرِيماً وَجَدَ بِهِ مَاءٌ وَرَبِمْا لَمْ يَوْجَدْ فَيَجْتَنِبُ سَلُوكَهُ؛ قَالُوا: وَقَوْلُ زُهَيْرِ فَيْدُ الْقَرِيَّاتِ مَوْضِعٌ آخَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَقَالَ الْحَازِمِيُّ: فَيْدٌ، بِالنِّبَاءِ، أَكْرَمُ نَجْدٍ قَرِيبٌ مِنْ أَجْدَا وَسَلْمَى جَبَلِيٍّ طَيِّئٍ؛ يَنْسَبُ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ صُرَيْسِ الْفَيْدِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَمْفَرِ بْنِ أَبِي مَوَالِيَةَ الْفَيْدِيِّ؛ وَأَبُو سَلْمَانَ صَيْسِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْفَيْدِيِّ الْكُوفِيِّ، سَكَنَ فَيْدًا، يَرُوي عَنْ مُوسَى الْجَهَنِيِّ؛ رَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَامِرُ بْنُ زُرَّارَةَ الْكُوفِيُّ وَغَيْرُهُمْ. الْحَمَوِيُّ، يَأْقُوتُ؛ مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ، ج 1، ص 282 - 283.



صورة تاريخية لتفرعات شط العرب والذي تحل عليه مدينة البصرة العراقية



روضة أم حنفر



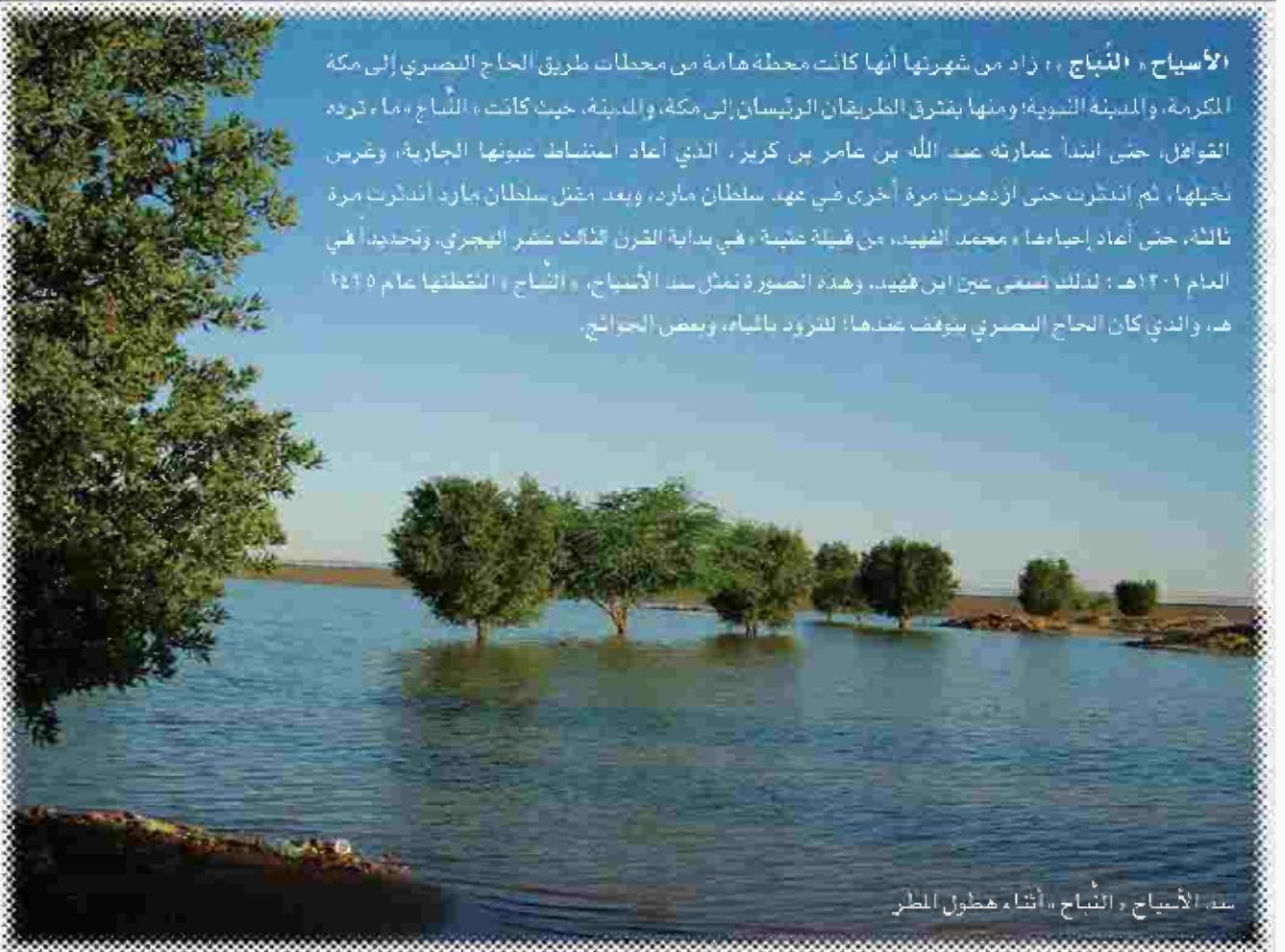
أحد الأضلاع الأثرية في النجاج (عين ابن فهيد)

ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٢٧ .

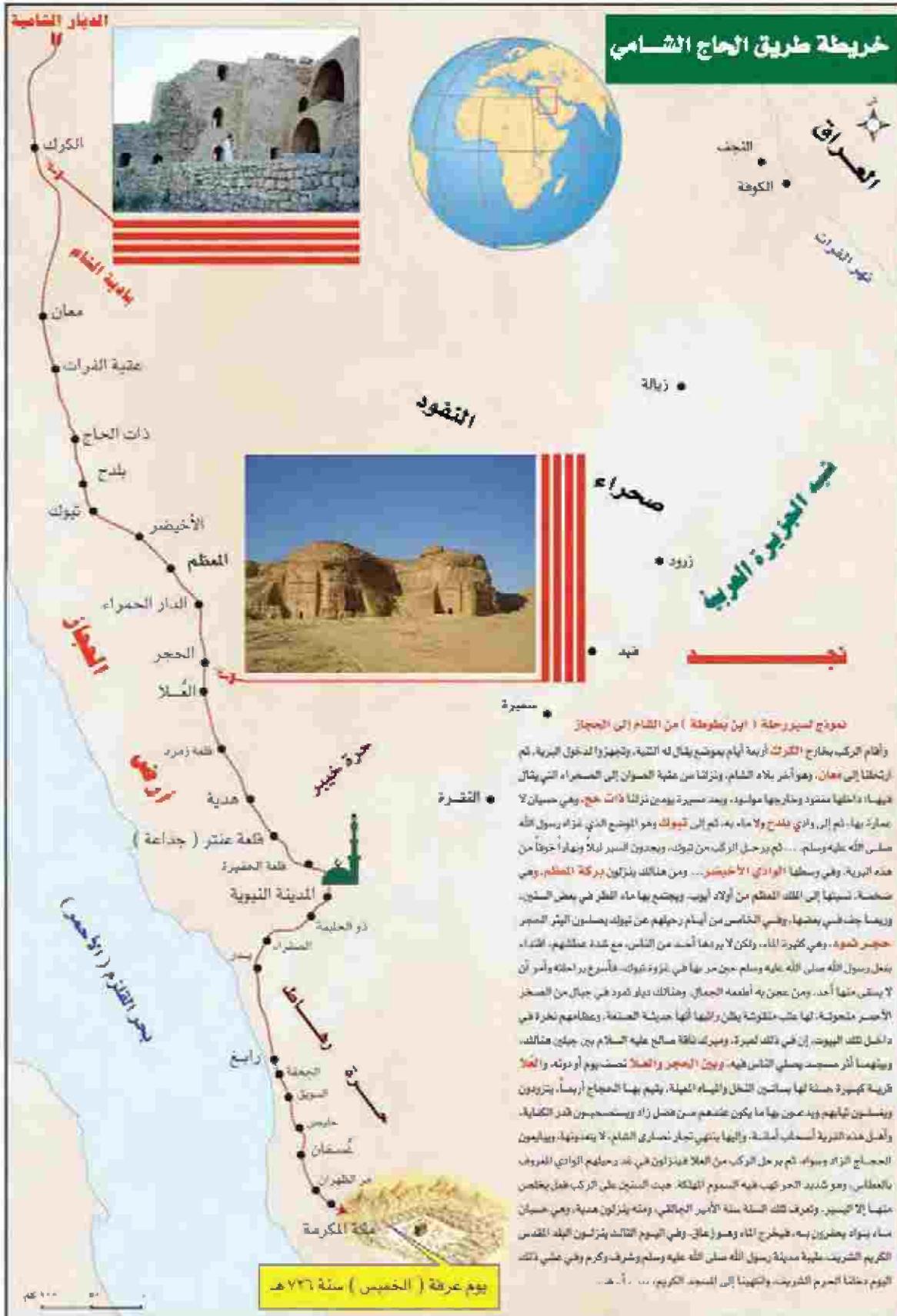


حُفْرٌ؛ بفتح الحاء؛ وهو في اللغة التراب الذي يستخرج من الحفرة، وهو مثل الهدم، وقيل: الحفرُ المكان الذي حُفِر كحفنق أو بئر، وينشد: **قالوا انتهينا وهذا الحنفق الحفر.**
 والبئر إذا وسعت فوق قدرها سُميت حفيراً وحفراً وحفيرة. **حُفْرُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ**، قال أبو منصور: الأحقار المعروفة في بلاد المغرب ثلاثة: حفرُ أبي موسى، وهي ركابيا أحفَرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة، وقد نزلت بها واستقيت من ركابياها، وهي بين ماوية، والمنجشانية، بعيدة الأرشية، يستقى منها بالسانية، وماؤها عذب، وركابيا الحفر مستوية، ثم ذكر حفر سعد، وقال أبو عبيد السكوني: حُفْرُ أَبِي مُوسَى مياه عذبة على طريق البصرة من النَّبَاح (**محافظة الأسياح بمنطقة القصيم اليوم، انظر الصورة في الأسفل**) بعد الرَّقْمَتَيْنِ وبعده الشَّجِي لمن يقصد البصرة، وبين الحفر والشجى عشرة فراسخ، ولما أراد أبو موسى الأشعري حُفْرَ رَكَابِيَا الحُفْر، قال: دُلُّونِي على موضع بئر يقطع بها هذه الفلاة، قالوا: هَوَّجَةٌ تنبت الأوطى بين فُلَجٍ وفُلَيْجٍ، فحُفِرَ الحُفْرُ، وهو حُفْرُ أَبِي مُوسَى، بينه وبين البصرة خمس ليالٍ، قال النَّضْرُ: والهَوَّجَةُ أن تحفر في مناقع الماء ثماداً يسيلون الماء إليها فتمتلئ فيشربون منها، **ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٥.**

الأسياح « النَّبَاح »، زاد من شهرتها أنها كانت محطة هامة من محطات طريق الحاج البصري إلى مكة المكرمة، والدينة النبوية؛ ومنها يفتتح الطريقان الرئيسان إلى مكة، والدينة، حيث كانت « النَّبَاح » ماء ترده القوافل، حتى ابتداء عمارته عبد الله بن عامر بن كزير، الذي أعاد المناسط عيونها الجارية، وغرس نخيلها، ثم انتشرت حتى ازدهرت مرة أخرى في عهد سلطان مارده، وبعد مقتل سلطان مارده انتشرت مرة ثالثة، حتى أعاد إحياءها محمد الفيهد، من قبيلة عثبة، في بداية القرن الثالث عشر الهجري. وتحديداً في العام ١٢٠١هـ؛ لذلك تسمى عين ابن فيهد، وهذه الصورة تمثل سد الأسياح، « النَّبَاح » التي بنيت عام ١٤٢٥ هـ، والذي كان الحاج البصري يتوقف عندها؛ لتزود بالياه، وبعض الجوائح.



سد الأسياح « النَّبَاح » أثناء هطول المطر



إقليم الشام جليل الشأن بدار النبيين، ومركز الصالحين، ومعدن الهدى، ومثلث الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة والرباطات الفاضلة والنفوس الجفيلة والجمال الشريفة ومهاجر إبراهيم وشبهه وديار أيوب وشبهه ومغرب داره وبابه وعمالت سليمان ومدنه وتربة إسحاق وأمه ومولد المسيح ومهدى قرية طابوت ونهره ومقتل جالوت وحضته وجب أرميا وحبسه ومسجد أوريا وبنته رقية محمد وآبائه وصخرة موسى وردوة عيسى ومغرب زكريا ومغرب يحيى ومشاهد الأنبياء وفري أيوب ومنازل يعقوب، والمسجد الأقصى، وجبل زئنا، ومدينة عكا، ومشهد صديقا، وشهر موسى ومخضع إبراهيم ومقبرته ومدينة عمقلان، وعين سلوان، وموضع لقمان، وزوايا كتمان، ومدائن لوبد وموضع الحنان، ومساجد عمر ووقت عثمان، والثياب الذي ذكره الريبلان، والمجلس الذي حضره الغصمان، والسور الذي بين العذاب والغفران، والكان القريب ومشهد بيسان، وباب حطة ذو القدر والشان، وباب السور وموضع اليقين وشهر سرزم وراجل ومجمع البحرين، ومشرق الدارين، وباب السكينة وربة السلمة ...

... القديس يوحنا ابن زبدي ...

الشمس من مدينة القديس

أعلام الحج والعمرة (تاريخيا وفعليا)





طريق (عمان - مكة المكرمة):

هناك طريقان داخليان من عُمان إلى مكة، **أحدهما**: يأخذ من عُمان إلى بيرين، ثم إلى اليمامة، ثم إلى ضريبة. وتذكر المصادر الجغرافية، أن **ضريبة** كانت ملتقى حجاج البصرة، والبحرين، وهناك يفترقون إذا اتصرفوا من الحج، فيأخذ حجاج البصرة ذات الشمال، وحجاج البحرين ذات اليمين، **وهناك طريق آخر** من عُمان يتجه إلى فرق، ثم عوكلان، ثم إلى ساحل هبابة، وبعدها إلى الشحر. وبإمكان حجاج عُمان أخذ أحد الطريقتين من اليمن، فإما عن طريق الحج الساحلي الموازي لساحل البحر الأحمر الذي يمر بعدد من المخاليف، والمنازل، مثل: مغلاف عك، والحردة، ومغلاف حكم، وعثر، ومرسى، وضنكان، والسرئين، حتى الشعبية، ثم جدة، فمكة. أو بإمكان حجاج عُمان أخذ الطريق الداخلي من اليمن إلى مكة مروراً بعدد من المنازل، بعضها لا يزال معروفاً حتى اليوم، مثل: رنية، وترية، حتى يصل إلى مكة. - معظمها ضمن النطاق الجغرافي للمملكة العربية السعودية - .



← مسارات قوافل حجاج آسيا نحو الديار المقدسة في العصور القديمة وقبل بدايات اختراع وسائل النقل الحديثة .
 → طريق الحرير الرابط بين شرقى قارة آسيا وقارة أوروبا في العصور القديمة، وتمثل النقاط الحمراء محطات القوافل .



استراحة على طريق قوافل الحجاج في ماشقند (الأوزبكية)



طريق الحج اليميني القديم

يبدأ هذا الطريق من صنعاء مروراً بصعدة، ويسلك المناطق الجبلية لمنطقة عسير، والحجاز ماراً بالقرب من موقع جُرش، ثم يتجمع إلى بيشة، وتَبَالَة، وتُربة، حتى يصل قرن المنازل، فمكة المكرمة. وقد بلغت المحطات على هذا الطريق فيما بين صنعاء ومكة ٢٥ محطة رئيسة، وكشفت الاستطلاعات، والدراسات الأثرية، عن جوانب مهمة تتمثل في الأعمال الهندسية، من رصف للطريق في المناطق الوعرة، والمنشآت المائية، والكتابات الإسلامية الصخرية المبكرة، وأحجار المسافة، ومن المناطق التي يمكن فيها مشاهدة آثار هذا الطريق منطقة الراكية، والمصلولة، وكريف العلب.

أجرى الباحث، د. محمد بن عبد الرحمن راشد الثنيان من جامعة الملك سعود، كشفاً أثرياً للطريق القديم الذي يصل صنعاء بمكة، وبين الكشف أن الطريق الذي استخدم في الأزمنة القديمة للتجارة، هو الطريق ذاته الذي استخدمه الحجاج اليمينيون بعد الإسلام للوصول إلى مكة، وأوضح الثنيان في كتابه الذي أصدرته وكالة الآثار السعودية في سنة ١٤٢٠ هـ، أن درب الحجاج يخترق أراضي مستوية في الجانب اليميني، بينما يمر ببعض التضاريس الوعرة في الجانب السعودي عند جبال السروات، وحرّة البقوم.

رقم المحطة	الطريق	المنطقة	الارتفاع (م)	المسافة (كم)	الوصف	المسافة (كم)	الارتفاع (م)	الوصف
١	مكة	مكة	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٢	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٣	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٤	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٥	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٦	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٧	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٨	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
٩	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم
١٠	بسات حرم	بسات حرم	٢٤٨٥	٠	بسات حرم	٠	٢٤٨٥	بسات حرم

أسماء بعض المحطات والمنازل الواقعة على مسار درب الحج اليميني الأعلى - التمدي، عند مروره في أراضي بيشة، وفقاً لكتابات أبرز الجغرافيين المسلمين الأوائل - الجدول من تصميم د. محمد بن عبد الرحمن الثنيان.

مكة المكرمة - الرياض - صنعاء (صاحب المصاحف) أو غيره، هذه العلامة - ينظر علم ريد اسم الوالي عند المساجد.



فيس نبوي :
 عن حياّب بن الأرت قال: شكوتنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسّد بريدة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تبصّر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يأخذ الرجل هجرته له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالثمار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من حزنٍ وحمه، وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على فئمه، ولكم تستعملون. صحیح البخاري
 حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا عبد الوهاب، قال: أنا هشام بن قتادة عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ما بين نأجيتي حوضي، كما بين صنعاء والدينة، أو مثل ما بين المدينة ومكان. . . مستند الإمام أحمد



طريق الحج اليمني القديم



خريطة حديثة للمناطق الإدارية للمملكة أومسما من خلالها عتبار طريق الحجاج اليمني في الديار السعودية

أحداث الحج والعمرة (تاريخيا وثقافيا)



طُرُقُ الْحَجِّ الْإِفْرِيقِيَّةِ



كانت "الفسطاط" هي مركز التجميع في طريق الحج المصري، وكان ميناء عيذاب هو بداية الرحلة البحرية إلى بيت الله الحرام، وهو أهم الموانئ المصرية على البحر الأحمر، وكانت ترد إليه مراكب الهند، واليمن، وتقادره بالإضافة إلى مراكب الحجاج الصادرة، والواردة. وقد ظل هذا الميناء طريق الحج الوحيد إلى مكة لفترة زمنية طويلة، يقول المقرئزي في خطبته: "إن حجج **مصر والمغرب** أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب". وكان الحجاج - كما وصف ابن جبير - يلقون في النبل من الفسطاط إلى "قوص" مارين بالعديد من المدن، والقرى على ضفتي النيل. التي كانت تمتاز بكثرة أسواقها، ومرافقها، وكانت ملتقى الحجاج، والتجار من مختلف الأنحاء. وهي رحلة كانت تستغرق ثمانية عشر يوماً في النيل. وكان الحجاج يستريحون بعض الشيء في "قوص". وهي مدينة تعد حاضرة ثقافية في مصر الإسلامية: انتظاراً لانتقالهم إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر بعد أن يتزودوا بما يحتاجون إليه، ويتجمعون في "المبرز" - قبلي قوص - وهناك يتم وزن أمتعتهم، وأثقالهم؛ نقدراً الأجرة عليها حيث تحمل أصحابها على ظهور الإبل، ويمكن استخدام غيرها من وسائل النقل عبر النياضي المخففة، التي تقل فيها المياه، وكان أصحاب الجاه، والثراء يركبون "الشقاديف". وهي أشياء المعامل. وأحسن أنواعها اليمنية وهي مجلدة متسعة، يوصل الاقنان منها بالحبائل الوثيقة، وتوضع على الإبل، ولها ذراع قد حفت بأركانها، ويكون عليها مظلة، فيكون الراكب مع عدليه في وقاية من نوح الشمس المحرقة، خصوصاً وقت الهاجرة، ويجلس في مكان أو يتكىء، دون أن يشعر بالنعيب، ويتناول أحياناً مع عديله الطعام، أو يقرأ في مصحف، أو كتاب، أو يلعب الشطرنج مع عديله إذا أحيا اللعب؛ للترجيع من عناء السفر. أما أغلب المسافرين فكانوا يركبون فوق الأحمال، ويقاسون من ذلك كثيراً؛ لشدة الحر الذي يشبه السموم^(١).

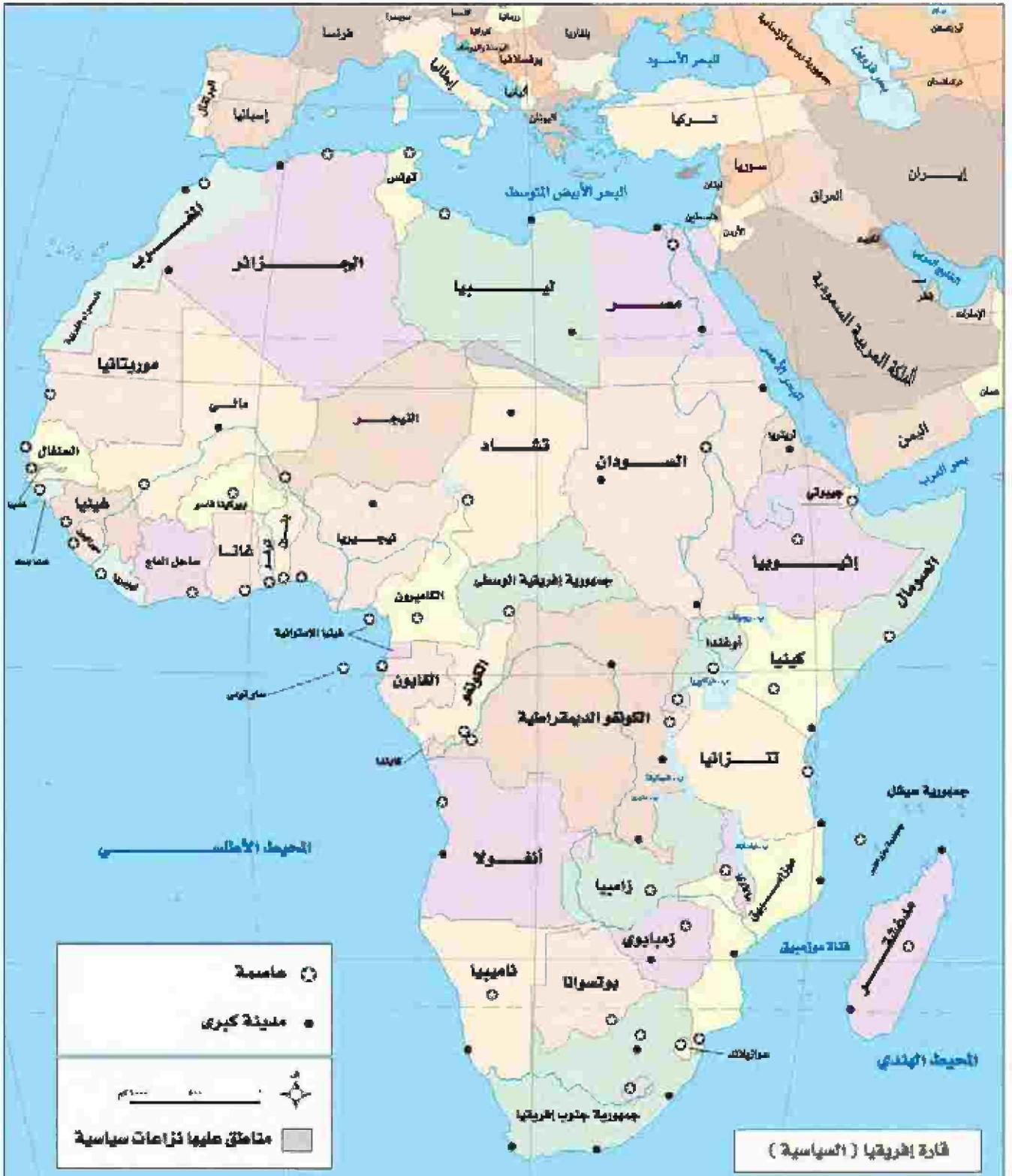
وبعد الانتهاء من الإجراءات يقلع الحجيج من "المبرز" إلى "عيذاب" عبر الصحاري القفرة في حوالي ثمانية وثلاثين يوماً، إذ تقطع الرحلة من "الفسطاط" إلى "عيذاب" في حوالي ستة وخمسين يوماً، تستدل ذلك من رحلة "ابن جبير" إذ سار من "الفسطاط" في السادس من المحرم سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٤م فوصل "عيذاب" في الثاني من شهر ربيع الأول من نفس العام. وعيذاب صحراء لا نبات فيها، وكل ما فيها مجلوب حتى الماء.

وبعد وصول الحجاج إلى عيذاب، كانوا ينتظرون أياماً صعبة؛ لعدم توفر الغذاء الضروري لحياة الإنسان، وإضافة إلى سوء أحوال الطقس، والطبيعة القاسية في هذا المرفأ، فهو كما وصفه ابن جبير "كل شيء فيه مجلوب حتى الماء، والنعش أشهى إلى النفس منه، فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام، وماء يشغل المعدة عن اشتها الطعام... فهي ماء زعاق، وجو كله نهب، فالحلول بها من أعظم المكاره التي حف بها السبيل إلى البيت العتيق... وما أعظم أجور الحجاج على ما يكابدونه لا سيما في تلك البلدة...". وقد وصفت هذه المدينة في الخيال الشعبي بأن النبي سليمان بن داود عليه السلام جعلها "سجناً للعفاريت".

بعد تلك المعاناة التي كان يلقاها الحجاج في عيذاب يركبون الجلاب إلى جدة، والجلاب هو نوع من المراكب التي كانت تسيّر في المحيط الهندي، والبحر الأحمر، ومفردها جلبة، وهي عبارة: عن قارب كبير، أو قنطرة مصنوع من ألواح موصولة بأمراس ألياف الفارجيل، وقد استعملها أهل مصر، والحجاز، واليمن في نقل الحجاج والأزواد^(٢).



أحداث الحج والعمرة (تاريخياً وواقعياً)





خريطة طريق الحجاج الإفريقي

ذكر المؤرخ المصري قسي الدين المقرئ في كتابه الخطط، أن هذا الطريق (الطريق البحري إلى مكة) ظل مسلكاً للحجاج من سنة ٥٠٠هـ إلى سنة ٦٦٠هـ، ومع انتهاء الوجود الصليبي في مصر والشام عاد الحجاج إلى استخدام طريق سيناء والبحر الأحمر مرة ثانية لنشاطه.



بيروت • أورشليم (قائقلا)

الموصل

أنطاكية

طرسوس

دمشق

بلاد الشام

آسيا

إفريقيا

جزيرة العرب

مكة المكرمة

جدة

المنامة

البحرين

الكويت

القطر

السعودية

البحر الأحمر

البحر المتوسط

البحر الأبيض المتوسط

تبدأ القوافل حجاج بلاد المغرب الإسلامي بالانطلاق من مدن المغرب، كمرآكش، وفاس، وسلا، وأحياناً كانت تضم حجاج السنغال، ويمد تجتمع القوافل لتطلق قافلتهم سالكة إما الطريق البري المعادي للبحر المتوسط، أو الطريق البحري عبر البحر المتوسط. واجتازت هذه القافلة أن تكون على موعد مع غيرها من قوافل الحج للحجاج الجزائريين، والتونسيين، واليهود، وذلك لمرور طريق الحج بمدن الهدية، وسفاس، وموسى، وطرابلس، وبنزقة، وطبرق. ثم تعبر هذه القوافل مجتمعة الأراضي المصرية بعدداده المتناحل حتى تصل إلى ميناء الإسكندرية، ثم رشيد، ويعد ركاب قوافل الحجاج الركاب التالية عبر فرع رشيد، إلى أن تصل جميعها إلى القاهرة، وتتصل مع قافلة الحج المصرية حتى تأخذ بها لها وأحياناً عند مكان شمالي القاهرة كان يُعرف آنذاك بـ **بركة الحجاج**، ويؤمّه حائياً القوية المعروفة باسم البركة، إحدى قري مركز شبين الناطر محافظة القنطرة.

ثم توأمل جميع القوافل مسيرتها برأى حتى تصل إلى ميناء القنطرة (السويس حالياً)، ومنها إما مواصلة الطريق البري عبر سيناء، ثم معسادة البحر الأحمر برأى إلى مدينة جدة، أو تجسر القوافل في السفن عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة، ومنها برأى إلى المدينة، ثم إلى مكة المكرمة، شرقها الله تعالى.

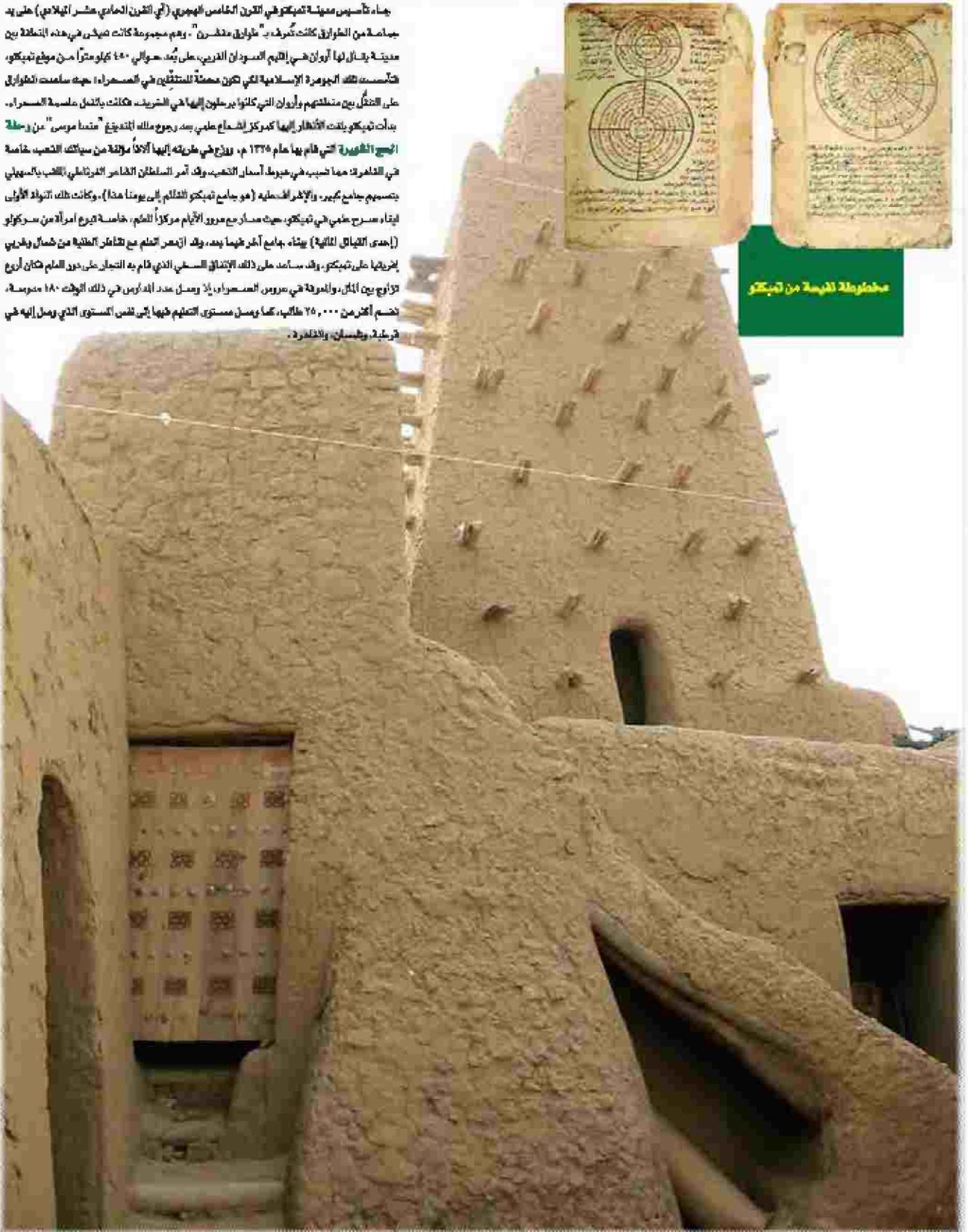
- مسالك برية
- مسالك ليلية بحرية
- مسالك برية بحرية

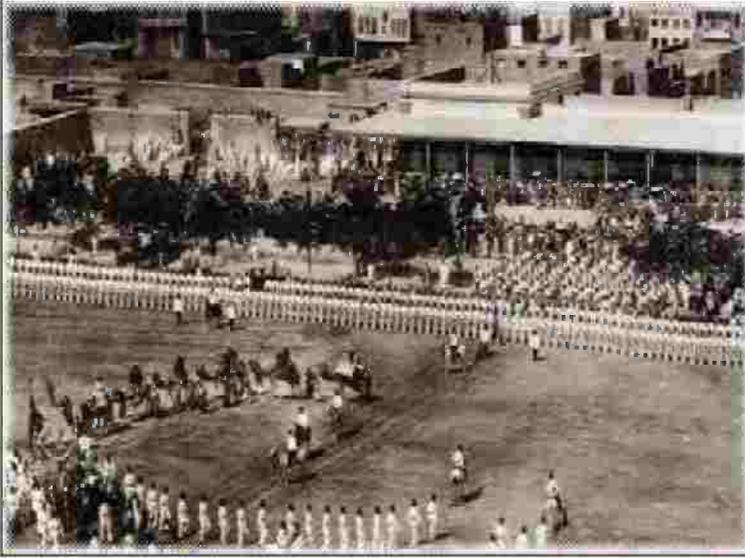


جاء تأسيس مدينة تيبكوت في القرن الخامس الهجري (في القرن الحادي عشر الميلادي) على يد جماعة من الطوارق كانت تعرف بـ "طوارق مغربون" وهم مجموعة كانت تعيش في هذه المنطقة بين مدينة يسانل لها أروان هي إقليم السودان الغربي، على بُعد حوالي ٤٥٠ كيلو متراً من موقع تيبكوت، تأسست هذه الجومرة الإسلامية لكي تكون محطة للمتقنين في الصحراء، حيث ساعدت الطوارق على التنقل بين منطقتهم وأروان التي كانوا يدخلون إليها في الشريف فكانت بائناً على مسجراتهم. بدأت تيبكوت بلغت الأضواء إليها كمركز إشعاع علمي، بعد رجوع ملكه إلتديغ "متسا موسى" من رحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام ١٦٦٥ م. وروى في طريقه إليها أنباء مائة من سيكته الشعب، خاصة في القاهرة مما تسبب في حيرة أسرار الشعب، وقد أمر السلطان الفاضل الفرنسي بالقبض بالسويدي بتصميم جامع كبير، والإشراف عليه (هو جامع تيبكوت القائم إلى يومنا هذا). وكانت تلك التوبة الأولى لبناء مسجد علمي في تيبكوت، حيث صارت مع مرور الأيام مركزاً للعلم، خاصة لمرور أمراء من سركوتو (إحدى القبائل الكافية) ببناء جامع آخر فيها بعد، وقد أتمم مع تقاطع الخطية من شمال وغربي إفريقيا على تيبكوت. وقد ساعد على ذلك الإكتشاف السخفي الذي قام به التجار على حور الماء هناك أربع الأزواج بين المائتين والخمسة في دروس الصحراوي، إذ وصل عدد المدارس في ذلك الوقت ١٨٠ مدرسة، تضم أكثر من ٦٥,٠٠٠ طالب، كما وصل مستوى التعليم فيها إلى نفس المستوى الذي وصل إليه في قرطبة، وبغداد، والقاهرة.



مخطوطة القيمة من تيبكوت





الاحتفال المصري بكسوة الكعبة قديماً

تمثل الصورة، الاحتفال السنوي المسمى بالمحمل، وذلك بمناسبة إرسال كسوة الكعبة من **مصر** إلى **مكة المكرمة**.. هذا الاحتفال كان يبدأ مع قرب موسم الحج.. وكانت مصر هي ملتقى **حجاج المغرب، والأندلس، وجميع دول شمال إفريقيا**.. حيث يتجمعون هناك في عدة مناطق بالقاهرة.. مثل: جامع أحمد بن طولون، وعند بركة الحج (وهي الآن منطقة حدائق القبة) ويأتي أمير الحج الذي سيكون مسئولاً عن بعثة الحجاج المصريين.. وتتجمع الشرطة في حضور عدد كبير من المواطنين، وهم يودعون كسوة الكعبة إلى الأراضي المقدسة.



مدينة حقل السعودية

يتواصل الطريق الساحلي من إيلة، ثم حقل في الأراضي السعودية، ثم مدين، ثم بعد ذلك إلى عينونة، ماراً بطريق شرمة، وقريم، والذيك (المولج)، ووادي الغال (وادي القمصط)، وضباء، والأزلم، وبركة عنتر، والوجه، وبين النهدي، ووادي العرجاء، وبركة أكرى، ويثر القروي، والحوراء، وينبع البحر، إلى المدينة النبوية، ويسمى الطريق المنطلق من الحوارة إلى ينبع الفرع الساحلي، ويمر بيشر قنبر، ويواصل سيره نحو الجنوب، ويمر بوادي خماس، ثم جبل البوانة، ثم يمر بوادي نبط قرب مصبه في البحر الأحمر، ويمر بجبل جريول شمال شرم الخور، ويتجه شرقاً ماراً بوادي كمال، وفي شمال شرم ينبع يعبر نحو الجنوب الشرقي ليصل ينبع البحر سيراً على السهل الساحلي، مع العلم أن الجار- ميناء بحري. كانت أيضاً طريقاً للحجاج المصري في الفترات المبكرة حتى كان العهد الأيوبي الذي ظهر في عهد ميناء ينبع بشكل بارز. ويتجه الطريق إلى جنوب شرقي ينبع البحر، حتى يصل إلى آبار المسميلي، ثم إلى آبار سعيد عبر وادي الصفراء، حتى يثر عباس بوادي الصفراء، ثم المسيجيد، فيخرج من وادي الصفراء باتجاه الشرق إلى يثر الروحاء، إلى الشمال الشرقي حتى يصل المدينة النبوية، ومن بدر إلى رايغ، فخليص، فغسفان، ومنها إلى وادي فاطمة (مر الظهران). "الجموم" ومنها إلى سرف، إلى التميم، ومنه إلى وادي الزاهر، وذي طوى، ويسير الحاج إلى وادي الأبطح، حيث يضرب الحجاج بنواحي مكة. شرقتها الله تعالى..



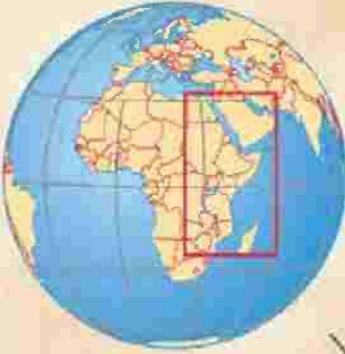
الجامع الكبير في أبوجا عاصمة
نيجيريا

بناء طيني لأحد جوامع باماكو
عاصمة مالي



أبرز مسالك الحجاج والعمرة (قارنهما وشهما)

أبرز مسالك الحجاج الإفريقي من الغرب الأوسط ووسط إفريقيا إلى الديار المقدسة



إفريقيا

أطلق المؤرخون القدماء على الممالك التي نشأت في القرن الإفريقي اسم ممالك الطراز الإسلامي، ذكر ذلك القلقشندي في صبح الأعشى، وهي البلاد المسماة ببلاد الزيلع، إذ لم تكن الأسماء الأخرى معروفة في القرون الوسطى، قال القلقشندي: وبلاد الزيلع هي: «البلاد المقابلة لبحر اليمن على أصالي بحر القلزم (البحر الأحمر)، وما يتصل به بحر الهند (المحيط الهندي)»، ويعبر عنها باسم «الطراز الإسلامي» لأنها على جانب البحر كالطراز له. «وأن العمري: «هذه البلاد يقال لها بمصر والشام بلاد الزيلع... وأن طولها برأ وبحراً خاصاً بها نحو شهرين، وعرضاً يمتد أكثر من ذلك»، وقال المقريزي: أن جبرت (أوقات) «انظر الخارطة المصغرة» من البلاد، وهدية في أقصى حدودها الغربية جنوبي أديس أبابا الحالية. وهكذا حدد القلقشندي موقع بلاد الزيلع، وحدد العمري طولها وعرضها، وهو طول وعرض يتناسب مع الحدود المعروفة، وأشار المقريزي إلى أقصى حدودها الغربية وهي مملكة هدية الإسلامية التي كانت تقع غربي الأخدود الإفريقي، وكان سكان بلاد الزيلع الإسلامية يتكونون من عناصر حامية، وعربية، وأغلب هذه العناصر الحامية ما يعرف بقبائل الصومال، والجالا، والأفجار أو الدناكل.

وكان الأفجار ينزلون شمالي نهر حواش، والصومال والجالا ينزلون جنوبي هذا النهر، وهي الهضبة الشرقية لأثيوبيا الآن، ولذلك يمكن أن تسمى هذه الهضبة أيضاً باسم الهضبة الصومالية، هي حين أن الهضبة الغربية كانت معروفة باسم الهضبة الحبشية. على حدسي بناء على الممالك الإسلامية في إفريقيا، ممالك وسلطنات الطراز الإسلامي في شرق إفريقيا، التسعة العربية.

- ← مملكة حجاج الشرق الإفريقي البري
- ← مملكة حجاج الشرق الإفريقي البحري
- ← مملكة حجاج البر والبحر إلى الحج



أرض الصومال والعميرة (قارويها وشعما)



دار السلام

دار السلام «عاصمة تنزانيا سابقاً»، تقع على الساحل الشرقي للمحيط الهندي، وكانت سابقاً تدعى مزيما وتعتبر أهم مدينة بتنزانيا، وإطلالتها على المحيط الهندي جعلها أهم مرفئ بالبلاط، حيث أنها تقملة عبور هامة للحجاج قديماً، وحاضراً، وتحمل إليها البضائع، والمواد الأولية، التي تصدرها البلاد من قطن، وبن، على وجه الخصوص. وأغلبية سكان دار السلام من المسلمين.



موروتي

موروتي عاصمة جزر القمر منذ عام ١٩٦٢م، وأكبر مدنها، تقع على جزيرة القمر الكبرى (انغازيجا) في المحيط الهندي.

يتفق المؤرخون أن باب المنذب كان أقدم الأبواب التي ولجتها العناصر الآسيوية في هجرتها إلى إفريقيا، وأن العرب لم يطلقوا عليه اسم الثباب إلا لأنه كان مدخلهم للقارة السوداء، ولا تزال الآثار الثقافية على جانبيه تقوم شاهدة على الاتصال القديم بين آسيا وإفريقيا، وقد استمر باب المنذب مدخلاً للهجرات البشرية عبر القرون المتعاقبة، وثلثت الصلات بين جانبي البحر الأحمر متصلة، كما كان العرب أول من صرف كل الموانئ الواقعة في الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وتحديدًا موانئ عيذاب - سواكن - عقيق - مصوع - زيلع - بريرة - مقديشو - زنجبار - دار السلام هي أعالي تنزانيا حتى موزمبيق، وكل هذه المناطق كانت جزءاً هاماً لكل الحضارة العربية الإسلامية، ومناطق الساحل هذه كانت هي المعروفة في إفريقيا، وكما هو معروف أن الإسلام في أثيوبيا له جذوره التي تمتد إلى وصول المهاجرين الأوائل إلى مملكة التجاشي المسيحية في أوائل القرن السابع الميلادي.

ويظهر الإسلام وينتشر في شبه الجزيرة، والملاقات التجارية قائمة بينهما وبين الجانب الشرقي في إفريقيا، فلا يؤثر ظهوره في العلاقات، إلا في الذين كانوا يترددون على إفريقيا من العرب قد أصبحوا مسلمين، بعد أن كانوا من عبدة الأوثان، وهذا بالتأكيد له تأثير على من يتصلون ويتعاملون معه في الشاطئ الآخر للبحر الأحمر، محمد سعيد ناود، العمرة والإسلام بالقرن الإفريقي.